زَرقاء اليمامَة


مكتبة الطفل. مكتبة الطفل. مكتبة الطفل مكتبة الطفل. مكتبة الطفل. مكتبة الطفل.

١٠ حكايات شعبية

زرقاء اليمامة

تأليف : فرج مكسيم
رسوم : طالب مكي
تصميم : شريف الراس









زمان ..

كانَ العربُ فُرسانَ الصحراء .

كانوا يُحبّونَ شمسَها المُشْرِقَةَ ، وسماءَها الصافية ، وجبالَها ، ورمالَها ، ويعرفونَ كلَّ ناحيةٍ فيها . ولأنهم يُحبّونَ أرضَهم فقد عَمروها ونصبوا خيامَهم فيها .. وأنشأوا البيوتَ والمدنَ والقُرى .. فانتشرَ العُمرانُ والأمان .. في كلِّ مكان .

وأصبحتْ أيامُهم تنقضي في عَمَلٍ مجيد .

ولياليهم تنقضي في سَمَرٍ سعيد .

وكانت تعيشُ في منطقة اليمامة جَنوبيَّ شبهِ الجزيرةِ العربية قبيلةٌ اسمُها قبيلةُ طَسْم .

كانت قبيلة طَسْم تنصبُ مضارِبَها ـ أيْ بيوتَ الشَّعر ـ في أَرض اليمامة .

وشيخُ قبيلةِ طَسْم فارسٌ من فُرسانِ العرب ، محبوبٌ من قبيلتِه لأنه شُجاع .. وقويّ .. يستخدمُ قُوّتَه فيما يُفيدُ قبيلتَهُ ، لأنه طيّبُ القلب .. يحكمُ بالعَدْل .. ويَرُدُّ الحقَّ للمظلوم .

وكان شيخُ طسم يشعرُ بالسعادةِ حين يرى أهلَهُ وأفراد قبيلته سُعداء .

وعندما يأتي المساءُ يجتمعُ رجالُ القبيلة في





خيمةِ رئيسِهم الشيخِ المحبوبِ يُنشدونَ أجملَ الأشعار ، ويَحكُونَ حكاياتِ الفُرسانِ أبطالِ الحروب .

وخَلْفَ سِتارةِ الخَيْمَةِ كانت تجلسُ دائماً صَبِيَّةٌ صغيرةٌ صامتة .

كانت هذه الصبيَّةُ تستمعُ إلى الأشعارِ وتحفَظُها . وتستمعُ إلى حكاياتِ الفُرسان أبطالِ الحروب .. وتحلُمُ أحلاماً جميلة .

كانت الصبيّةُ العربيةُ جميلةَ الوجهِ ، سوداءَ الشعر ، لها عينان جميلتان لونُهما أزرق ، بلونِ السماء الصافية .

وبسببِ زُرْقَةِ عينيها كانَ اسمُها : الزرقاء .

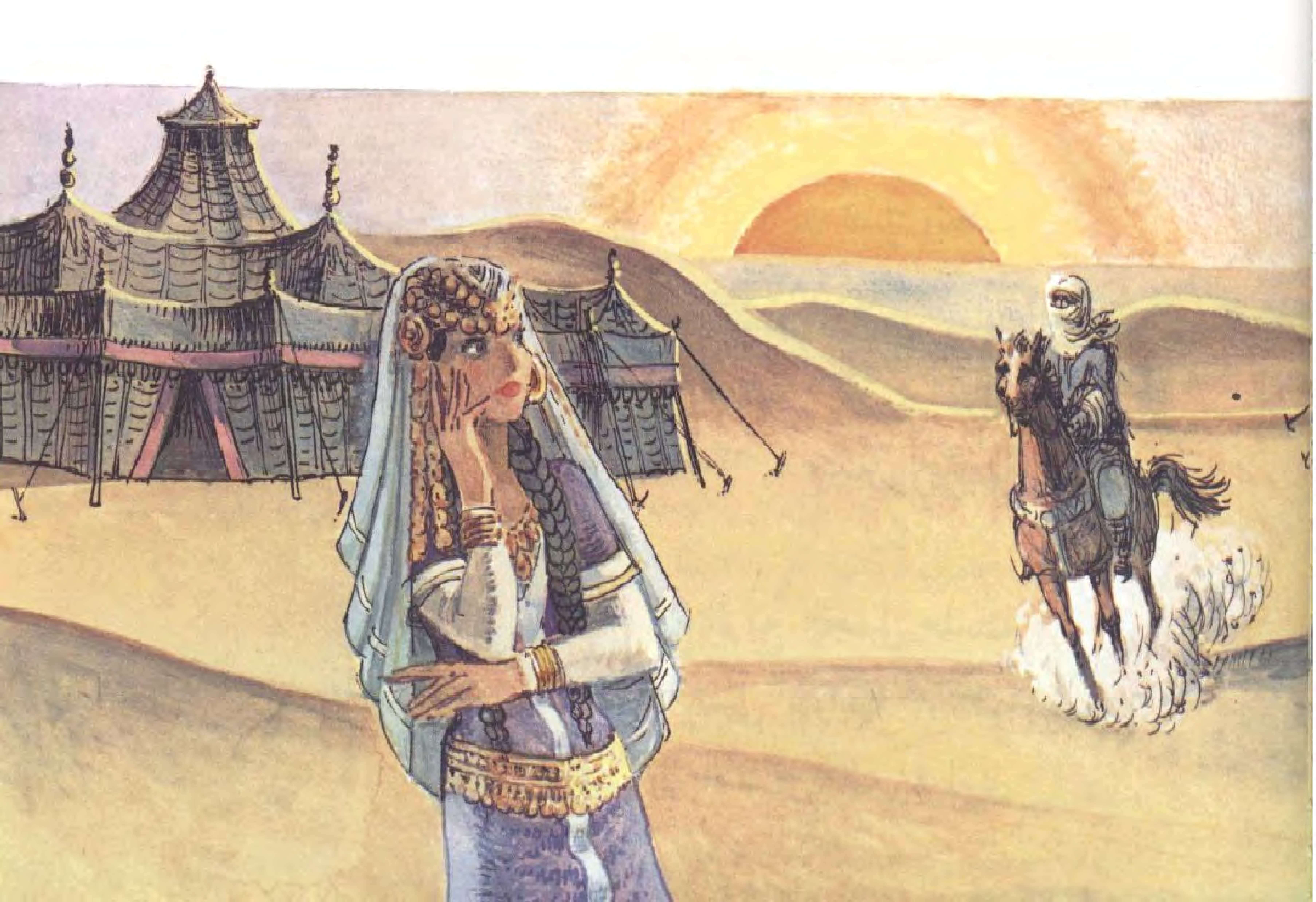
كانت الزرقاءُ ابنةَ رجلٍ من أفرادِ القبيلةِ يُحبّهُ الجميعُ لأنّه ذو سيرةٍ حَسَنة ، يقومُ بالأعمال التي تعودُ بالخيرِ على الجميع ..

وكانت الزرقاءُ تحترِمُ أباها وتحترمُ شيخَ القبيلة .

كانت تُحبُّ الأشعارَ ، وحكاياتِ الأبطال . لأنها تتمنّى أن تُصبحَ نافعةً للناس مثلَ أبيها وشيخِ القبيلة ، مشهورةً بين الناس مثلَ الشُعَراءِ والفُرسان .

وفي كل يوم كانت الزرقاء تفكر في ذلك .

وفي الصباحِ الباكرِ تخرُجُ من الخيمةِ مع شُروقِ الشمسِ تستنشقُ الهواءَ النقيَّ مِلءَ صَدرِها . فتشعرُ بالنشاطِ والفَرَحِ . وتَجري حتى آخرِ خيامِ القبيلةِ فتشعرُ بالقوةِ والحَيَويَّة .





ثم تستريحُ في الظِلِّ .. تَتَخَيَّلُ .. وتحلُمُ أجملَ الأحلام ، وتُسلّي نفسَها بهِوايتِها المُفَضَّلَة.

هوايتُها : أنْ تَمُدَّ بَصَرها إلى آخرِ مَدَى .

تُحاولُ أن ترى .. أبعدَ الجبالِ .. وأبعدَ الطيورِ .. وأبعدَ السُّحُب .

ويأتي المساءُ .. بالشِّعْرِ والغِناءِ .. والحكاياتِ الجميلة .

وقبلَ أن تنامَ الزرقاءُ كانت تُصَلّي وتطلبُ من اللهِ أن يَهَبَها موهبةً تُفيدُ بها قَوْمَها .

وتمرّ الأيام ..

تكبُرُ زرقاءُ اليمامة .. وتكبُر أحلامُها معها ..

وفي يومٍ من أيام الربيع الجميل جلست الزرقاءُ أمام خيمتِها تتسلّى بهوايتها : تنظر بعينيها الجميلتين إلى الأماكنِ البعيدةِ لترى



أبعدَ الأشياء .

وفجأةً :

رأتِ الزرقاءُ من بعيدٍ سبعةَ جِمالٍ تَسيرُ في الصّحراء وتقتربُ من خيامِ قبيلةِ (الهوّارة) البعيدة .

فتذكرتْ جِمالَ قبيلتِها التي تاهتْ منذُ شهور .

وفي الحال : قفزتْ الزرقاءُ وجرتْ إلى أبيها تخبرُه بما رأت .



فقال الأبُ في نفسه ـ وهو يفكر ـ : لا شكَّ أن الزرقاءَ صادقةٌ . فهي فتاةٌ نبيلةُ الخُلُقِ لا تكذِبُ أبداً .. ولكنْ ربما كانت واهمةً .. ربما كان ما رأتْهُ سراباً في الصحراء .

وحين ألحّت الزرقاءُ في التأكيدِ على أنها رأت بعينيها الجمال السبعة ، قال الأب : « إذن هيا بنا لنخبرَ شيخَ القبيلة » .

نظر الشيخ إلى الزرقاء وهو يفكّرُ ويقولُ لنفسه :

حقّاً .. ضاعَتْ منّا سبعةُ جمالٍ في الشتاء .. ولكنْ !! كيفَ تقولُ الزرقاءُ إنّها تَراها عندَ خيامِ الهَوّارَة ؟

إنَّ خِيامَ الهَوّارة بعيدةٌ جداً جداً . ولا يستطيعُ إنسانٌ أنْ يراها من هُنا .

وبينما كان الشيخُ يفكرُ جاءتِ الأمُّ . وحين عَرَفَت الخبرَ صاحتْ بغضبٍ :

ـ مَنْ أَذِنَ لكِ يا زرقاءُ بالذهابِ إلى هذا المكانِ البعيد ؟

فأخبرتْها الزّرقاءُ أنها لم تذهبْ ولكنّها رأتْ ذلكَ بعينيها وهي في مكانِها .

لكنَّ الأمَّ لمْ تُصَدِّقْ .

وظلَّ الأبُ مُندهِشاً .

وانتشرَ خبرُ الزرقاءِ بين القبيلة .

فاجتمعَ أهلُها حولَها يستمعونَ ويعجبونَ والزرقاءُ حائرةٌ بينهم .. تُحاولُ إثباتَ صِدْقِها .

ولكنْ .. لم يُصدّق أحدٌ أنَّ الزرقاءَ تستطيعُ رؤيةَ خيام قبيلة الهوّارةِ وهي في مكانها .

ومرَّ النهارُ وأهلُها يضحكونَ من كلامِها .





وسُرْعانَ ما نسُوا حكايتَها وذهبوا لأعمالهم .
ولكنْ
عندَ غُروبِ الشمس . . حَدَثَ شيءٌ عجيب .

أقبل رجالٌ من قبيلةِ الهوّارة ومعهم سبعةُ جمالٍ . وقالوا : إنَّ الجِمالَ اقتربتْ من خيامِهِمْ عندَ الصباح . وحين وَجَدوا عليها علامةَ قبيلةِ طَسْم – وهي قبيلةُ زرقاءِ اليمامة – ساقُوها وسارُوا بها طَوالَ النهار حتى وَصَلوا إلى خيامِ قبيلةِ زرقاءِ اليمامة ليردُّوا الأمانةَ إلى أهلِها .

واستراحت الزرقاءُ لظهورِ صِدْقِها .
ولكنَّ أهلَ قبيلتها لم يستريحوا .
وانقسم أهلُ القبيلةِ إلى فريقين :
فريقٍ مع الزرقاءِ . . يُصدّقُها .
وفريقٍ ضد الزرقاء . . يكذّبُها .

وكان شيخُ القبيلةِ يفكّرُ في طريقةٍ يعرِفُ بها الحقيقةَ . . فأخذَ ضيوفَه الذين جَلَبوا الجِمالَ السبعةَ وأكرمَهُم . . وبعدَ العَشاء همسَ لهم بكلامٍ لم يسمعْهُ أحدٌ غيرهم .

وسافر الضّيوفُ إلى مضاربِ قبيلتِهِم البعيدةِ ، بعد أن اتفقوا على حيلةٍ بارعةٍ تكشِفُ سرَّ الزرقاء .



وفي الصّباحِ اجتمعتِ القبيلةُ .. وجاءتِ الزرقاءُ .. فطلبَ منها شيخُ القبيلةِ أن تقفَ على تلِّ الرِّمالِ وتنظرَ باتّجاهِ خيامِ قبيلةِ الهوّارةِ البعيدةِ وتتحدثَ عما تراهُ ..

نظرتِ الزرقاءُ وقالتْ :

ـ إنّي أُبصرُ خيامَهُم .. و .. وها أنا أرى فوقَ الخيمةِ الأولى رجلاً جالساً .

ضحِكَ الجميعُ من هذا الكلام .

ولكنَّ شيخَ القبيلةِ أسْكَتَهم وسألَ الزرقاءَ :

ـ انظُري جَيّداً يا زرقاءُ .. هل يحملُ ذلك الرجلُ شيئاً ؟

صَمَتَت الزرقاءُ قليلاً ثم قالت :

ـ نعم .. إنّه يحمِلُ فَرْعاً من فُروعِ الشجر .. والفرعُ فيه أغصانٌ كثيرة . إني أستطيعُ رُؤيَةَ عَدَدِ الأغصان .. إنّها .. إنّها .. سبعةَ عشرَ غُصناً .

هنا صاحَ شيخُ القبيلةِ :

ـ صَدَقْتِ يا زرقاءُ .. هذه هي العلامةُ التي اتفقتُ عليها مع الرجال .

فَرِحَ أبوها فَرَحاً عظيماً .. واحتضنتْها أمُّها وقبلَّتْها .. أمّا شيخُ القبيلةِ فقد ضمّها إلى صدرِهِ وقال لأبناءِ قبيلتِهِ بفخرٍ واعتزاز :

ـ افرَحوا وهَلِّلوا .. وغَنُّوا أجملَ الأغاني .. لقد ظهرَتْ في قبيلتِنا مَوْهِبَةٌ عظيمةٌ .. مُفيدةٌ للجميع .. فسوف تكتشِفُ لنا الزّرقاءُ ينابيعَ المياهِ البعيدة .. وسوف تُخْبِرُنا عن الأعداءِ قبل أن يَصلوا إلينا .

أَحسَّت الزّرقاءُ بالفرحةِ الكبرى .. لأنَّ حُلُمَها تَحقّقَ وسوفَ تُصبحُ نافعةً للنّاس .

واحتفلت القبيلةُ بزرقاءِ اليمامة .. وظلّوا يحكونَ حكايَتَها .. حتى وَصَلَتْ إلينا .



قِصَّةٌ ثانِيَةٌ

بيع وشراء





اشتُهِرَ العربُ من قديمِ الزمانِ بالمَهارَةِ في التجارةِ ، حتى أنَّ الرسولَ الكريمَ ـ وهو المَثَلُ الأعلى للبشرِ ـ كانَ تاجراً نزيهاً .. وكانوا يسمّونه « الأمين » . ذلك قبلَ أنْ يصطفيهِ اللهُ للدعوةِ إلى دينِ الله .

وكانت أسواقُ العربِ عامرةً بكل بضائعِ الدنيا ، مُزْدحِمةً بالناسِ من كلِ الشعوبِ والأجناس .

وذاتَ مرةٍ كان واحدٌ من الأجانبِ يسيرُ في سوقٍ عربيٍ مُتَكَبّراً مغروراً . يتبخترُ بثيابهِ الفاخرةِ الغاليةِ الثمن .

قابلَ الأجنبيُ المتكبرُ رجلاً بدوياً يبيعُ زيتَ الطعام . فطلبَ منه أن يُنْزِلَ حُمولَتَهُ ليتفرَّجَ على بضاعته .

أنزلَ التاجرُ البدويُ قناني الزيت إلى الأرض فارتجَّ وعاءٌ منها .. وطارتْ قَطْرَةٌ من زيتِ السُمْسُمِ ولطّختْ ثوبَ الرجلِ المتكبر .

غضبَ المتكبرُ غضباً شديداً وهجمَ على التاجرِ البدويِ المسكين وقال له :

ـ إنَّ ثَمَنَ ثوبي ألفُ دِرهم .. ولن أتركَكَ حتى تدفعَ لي ثمنَ ثوبي الذي أفسَدْتَهُ .

حاولَ البدويُ المسكينُ أن يعتذرَ عما حدثَ فلم يقبل الرجلُ المتكبرُ اعتذارَهُ .

فعرضَ عليه البدويُّ أن يغسلَ الثوبَ وينظفَ البُقعةَ فاصرَّ المتكبرُ على قبضِ ثمنِ الثوبِ بدونِ تأخير . فقالَ البدويُ المسكين :





ـ أنا لا أملكُ إلا مائةَ درهم .. هيَ كلُّ رأسِ مالي فَخُذْها واتْرُكْني .

رفضَ المتكبرُ كلَّ كلامٍ .. وصَمَّمَ على أخذِ ثَمَنِ ثيابهِ فوراً أو يقودَ البدويَّ للشرطة .

تَجَمَّعَ رُوّادُ السوقِ وحاولوا ترضيةَ المتكبرِ لكنهُ أصرَّ على حَبْسِ البدويِ المسكينِ الفقير .. فنظَرَ إليهِ الناس بغَيْظٍ وغَضَبٍ لأنه لا يعرفُ الرحمةَ ..

وتَقَدَّمَ شابٌّ شهمٌ ذكيٌّ .. وقالَ للمتكبر :

ـ خُذْ .. هذه الألفُ درهمٍ التي طلبتَها ثمناً لثيابكَ كُلِّها .

أخرجَ الشابُّ الذكيُّ النقودَ وأعطاها للمتكبر ..

فَعَدَّها المتكبرُ بحِرْصٍ شديدٍ وأخذَها وهَمَّ بالمَسير .

لكنَّ الشابَّ ناداهُ قائلاً :

ـ إلى أينَ تذهبُ ؟ لقد أخذتَ ما لَكَ عندنا ولم تُعْطِنا ما لنا عندَكَ .

فالتفتَ المتكبرُ بغُرورٍ وقال :


ـ وماذا لك عندي ؟!

قالَ الشابُ الذكيُ :

ـ أنت بِعْتَ لي ثيابَكَ بألفِ درهم .. وهؤلاء الناسُ يشهدونَ أنكَ قبضتَ الثمنَ .. فَهَيّا .. أعطِني ثيابَكَ التي اشتريتُها منكَ .

تَدَخَّلَ أهلُ السوق .. وأكَّدوا كلامَ الشابِ وأصرّوا على أنَّ ثيابَ المتكبرِ من حَقِّهِ ، سيتصرفُ بها كما يريدُ ، فهي مِلْكُهُ لأنه اشتراها بمالِهِ .





تَضايَقَ المتكبرُ وقال للشاب :

ـ ولكنْ كيفَ أُعطيكَ ثيابي وأمشي عارياً . إني لستُ من هذه البلادِ ولنْ أَجِدَ هُنا ثياباً تُناسبُني .

فقالَ الذكيُّ :

ـ هذا ليسَ شأني .. فلماذا لَمْ تُفكّرْ هذه الأفكارَ قبلَ أنْ توافقَ على البيعِ وتقبضَ الثمنَ ؟ .

وتدخَّلَ الناسُ فأيّدوا كلامَ الشابِ الذكيِ وطالَبوا المتكبرَ بإعطائه الثيابَ .. فهي من حَقِّهِ . وتأكّدَ المتكبرُ أنه وقعَ في شَرِّ أعمالِهِ .

وحتى ينجو من المشكلةِ عَرَضَ على الشابِ أنْ يَرُدَّ الألفَ درهمٍ ويحتفظَ بثيابِهِ .

لكنَّ الشابَ الذكيَّ قالَ :

ـ إنَّ ثيابَكَ أصبحتْ مِلْكي وأنا حُرٌّ فيها .. ولنْ أبيعَها بألفِ درهمٍ ولا بألفٍ ونصف .

اضطُرَّ المتكبرُ أنْ يُساوِمَ الشابَ الذكيَّ ويرجوه أنْ يأخُذَ أيَّ ثَمَنٍ ويتْرُكَ له الثيابَ .

فطلبَ الشابُ الذكيُ ألفين من الدراهم .

فدفعَ المتكبرُ المبلغَ المطلوبَ .. والناسُ مِنْ حَوْلِهِ يقولون في أنفسهم :

ـ هذا جزاءُ غَبائه وغَلاظَةِ قلبه . فلو كانَ رَحِمَ الرجلَ البدويَ المسكينَ ما تَعَرَّضَ لهذا الموقفِ المهين .

وأخذَ الشابُ الذكيُ الشهمُ نقودَ المتكبرِ ، فأعطى للرجلِ البدوي مائةَ درهم .. وفازَ هو بالباقي ثمناً لذكائه وشهامته .



الجمهورية العراقية - وزارة الثقافة والإعلام - دائرة ثقافة الأطفال - مكتبة الطفل

الناشر : دائرة ثقافة الأطفال . . ص . ب ١٤١٧٦ بغداد

سعر النسخة ٥٠ فلساً